(4)



مجلة
كليـــة الآداب

المجلد الخامس والأربعين العام الجامعي ٩٦ / ١٩٩٧

الدور الحضاري لنشاط التجارة بين شمال وغرب أفريقيا في العصور الإسلامية الوسيطة

إعداد

د. غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك

ورئيس قسم التاريخ

جامعة الملك سعود - كلية التربية

فرع أبها

(١٤١٧هـ/١٩٩٦م)

الدور الحضاري لنشاط التجارة بين

شمال وغرب أفريقيا في العصور الإسلامية الوسيطة

الثابت أن أعظم الثقافات وأقواها تأثيراً في حضارة شمالي وغربي أفريقية هي التي تعود إلى عصر الإسلام ، حتى إن العالم الأوروبي، ظل لبضعة قرون، يعتقد أن بلاد السودان عامة والصحراءَ في شمالها ليست سوى جزء من العالم الإسلامي[(١)] .لقد حدث أن اعتنق معظم سكان الحزام السوداني الإسلام بحماس[(٢)] ، وعن طريق الإسلام دخل قدر كبير من مظاهر الحضارة الإسلامية البلاد ، وبرز في رحاب الإسلام ، بتلك البلاد، عدد كبير من العلماء الأفريقيين السود الذين كتبوا باللغة العربية في شتى فنون المعرفة ، ومن بينها التاريخ الوطني لبلادهم[(٣)] .ثم بالإسلام ظهرت الدول الإسلامية في أفريقية ، التي ناضلت ضد الاستعمار الأوروبي. إذن لم يخطىء المؤرخون حين قالوا :- إن بالإسلام يبدأ العصر التاريخي لأفريقية السوداء. والمقصود بالعصر التاريخي هنا ، ازدهار الحضارة الأفريقية الوطنية الإسلامية ، والحق أن العصر الذهبي في تاريخ البلاد الإسلامية الأفريقية ، أو تاريخ السودان الأوسط والغربي، بمعنى آخر ، هو العصر الوسيط . ففي ذلك العصر، برزت الخصائص المميزة للحياة الإنسانية في تلك البلاد ، وقامت حكومات ونظم إدارية متقدمة ، ويمثل الإسلام القوة الدافعة المحركة ، التي خطت بالحياة في أفريقية الإسلامية تلك الخطواتِ الحضاريةَ القوية[(٤)].

ففي الحقبة التي تمتدّ من القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، إلى حوالي منتصف القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، حفلت بلاد غرب أفريقية بالآلاف من العلماء والرحالة والتجار المسلمين من شتى أصقاع العالم الإسلامي ، من المشرق، ووادي النيل بصفة خاصة، ومن بلاد المغرب العربي في شمال أفريقية بصفة عامة ، كما سافر عدد كبير ن مسلمي غربي أفريقية لأداء فريضة الحج وطلب العلم في الأزهر و مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وشمال

أفريقية، ونهضت تلك البلاد التي أمها المسلمون الأفريقيون لشتى الأغراض، بما ينبغي عليها من الوفاء ، الذي سجله التاريخ، من تيسير الرحلة وحسن الاستقبال وتذليل سبل العلم ، بجانب تبادل المنافع التجارية، بل اختلطت دماء أهل البلاد بغيرهم من المسلمين ، مما زاد الرابطة ووثق العلاقة. وأدى هذا كله إلى تجاوز شهرة المدن الأفريقية الزاهرة، حدود القارة ، أمثال : **كومبي صالح في غانه، ومالي، وجني، وتنبكت (تمبكتو)، وولاته ،وتكده وونقاره ،وكنو، وكاتسينا، وصكت وغيرها**(٥) .

لقد تطلعت بلاد السودان الأوسط والغربي إلى البلاد الإسلامية في الشمال والشمال الشرقي من أجل العقيدة والمدنيّة ، ولم تَحُلْ وعورة الصحراء دون اجتيازها، فطرق القوافل -التي تعد بالعشرات- تخترقها منذ أقدم العصور. ويمكن التماس ثلاثة منابع رئيسة للتأثير الإسلامي في أفريقية السوداء عامة،وهي:-

١ - من شمال أفريقية عبر الصحراء إلى حوض النيجر الأوسط والأعلى.

٢ - المنبع المصري عن طريق النوبة وطرق القوافل الشرقية إلى برنو فبلاد الهَوسَا.

٣ - من بلاد العرب عبر البحر الأحمر إلى الحبشة ثم بلاد اليوروبا والأشانتي.

وعن هذه المنابع الثلاثة ، وصلت الثقافة العربية والإسلامية إلى العناصر السوداء، وساعد على ذلك وقوع مصر والسودان في طريق الحج، واهتمام أولي الأمر فيها بتيسير أمور السفر إلى الأراضي المقدسة منذ فجر الإسلام، بل إن شمال أفريقيا ووادي النيل عامة ، كانا من أهم المراكز والمنابع التي زحفت منها الدعوة الإسلامية ، وكانت مصر ، ثم المغرب ، أسبق الأقطار إلى اعتناق الإسلام، ثم زحف الإسلام جنوباً مخترقاً الصحراء إلى بلاد النوبة وبلاد غربي أفريقية(٦) .

وقد أنتشر الإسلام مبكراً في بلاد غرب أفريقية ، ومن الأدلة التاريخية على ذلك ، ماذكره البكري، من أنه حوالي عام(٦٠هـ/٩٧٩م) ، كان يوجد بالحي الإسلامي بمدينة غانه أو كومبي صالح ، عاصمة إمبراطورية غانه ، اثنا عشر مسجداً ، وقد زار البكري غانه عام(٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م) ،وذلك قبل سقوطها بقليل، وأدرك فيها هذا العدد من المساجد، بجانب عدد من المدارس القرآنية والإسلامية بالقسم الإسلامي[٧]. و أورد البكري،كذلك ، أن بني أمية أرسلوا جيشاً في صدر الإسلام لفتح بلاد السودان، وأن ذرية هذا الجيش استقرت في بلاد غانة ، وأن حملة إسلامية كانت موجهة لمطاردة البربر، وصلت في حركتها إلى بلاد السنغال حوالي عام (١٠٢هـ/٧٢٠م) وعادت بكميات كبيرة من الذهب[٨] .وعن القَلْقَشَنْدِي، أن أهل غانه أسلموا أول الفتح [٩] وقد أسلم أحد ملوك غانه في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وهو تلوتان بن تكلان، ويقال إنه شن حرباً دينية ضد جيرانه الوثنيين[١٠] . ويقال- كذلك- إن أربعة من جيش عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) (٧١٧-٧٢٠م) هاجروا إلى كانم، وأن بعض بني أميه توجهوا إلى كانم عند محنتهم مع بني العباس[١١] .ولاشك أن لهذه التحركات الإسلامية تأثيراً جزئياً في التعريف بالإسلام في تلك البلاد منذ زمن مبكر، وهي خلاصة لأدلة تاريخية على قِدم الإسلام في غرب أفريقية ، توضح أن العلاقات بين هذه البلاد وشمال أفريقيا بل وآسيا وأوروبا ترجع إلى زمن سحيق، وهي علاقات كما بدأت تجارية تبودلت فيها منتجات وسط أفريقية وغربِها بالسلع الخارجية عن طريق القوافل، ثم نشطت حركة التبادل التجاري والمواصلات بعد دخول الجمل أفريقية حوالي القرن الأول قبل الميلاد، كما أن الفتوح الإسلامية لمصر وشمال أفريقية ، قد أدت إلى دفع المسلمين شمالاً حتى الأندلس وفرنسا[١٢].

لذلك يمكن القول ، إن أفريقية ، وعلى الأخص غربُها ووسطُها، لم تنعزل تجارياً وحضارياً عن شمالها، وعن أوروبا وآسيا في أي فترة من فترات التاريخ ؛ وكان لهذا الاتصال المستمر أثره البشري في حياة الزنوج في تلك البلاد، فضلاً عن الآثار الاقتصادية والحضارية والثقافية ، ومن بينها عقيدة الإسلام بدرجة ما، هناك الأثر الجنسي الذي أدى إلى ضغط العناصر البيضاء من البربر والعرب على تلك البلاد منذ أزمنة موغلة في القدم ، واختلاطهم بأهلها، وقد أدى هذا إلى امتزاج دمائهم بالدماء الزنجية حتى تغيرت ألوان أهل غرب أفريقية ، مما يصعب معه وصفهم بالزنوج. ومن أجل هذا الاندماج ، جاء وصف المؤرخين والجغرافيين العرب لبلاد السودان دقيقاً ، فيقول الإصطخرى مثلاً عن السودان: "إنهم ليسو بنوبة ولا بِزَنْج ولا من البَجَّة ، إلا أنهم جنس أشد سواداً من الجميع وأصفى"(١٣).

بعبارة أخرى : لقد وجد الإسلام طريقه من شمال أفريقيا إلى بلاد السودان الأوسط والغربي منذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، لا عن طريق الفتح الحربي والضغط والقهر، ولكن عن طريق التجارة والمصاهرة والاندماج والكُتُب والمدارس والمساجد؛ لأنه يصعب إخضاع وقيادة القبائل الكبيرة القوية عن طريق الحرب، بدليل أن الإسلام ، في تلك البلاد ، ظفر بأقوى القبائل وأشجعها وأكثرها عدداً وليس بالمستضعفة منها ، ثم نما وترعرع في المدن الكبرى التي أقامها المسلمون و استقروا فيها ، فنمت وكَبِرَتْ واشْتِهرَتْ ، وأدّى ذلك إلى قيام الدول التاريخية الإسلامية الأفريقية الكبرى خلال فترة العصور الوسطى (القرن الثاني إلى العاشر للهجرة / الثامن إلى السادس عشر للميلاد)، وهي ممالك إسلامية سادت ردحاً من الزمن، وأسهمت إسهاماً إيجابياً في نقل الحضارة والفكر الإسلامي والعربي إلى تلك المناطق ، كما ساعدت على نشر

التراث الإسلامي. هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبْته تلك الممالك في تاريخ المنطقة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، فاستمر دفع الحضارة الإسلامية في أفريقيا في الانتشار والازدهار حتى بلغ مداه وانتشاره في القرن الرابع عَشَرَ للهجرة (القرن التاسع عَشَرَ الميلادي).(١٤)

لقد كان للنشاط التجاري العربي والإسلامي عبر الطريق الصحراوي الغربي منذ القرن الأول الهجري وحتى نهاية القرن الخامس منه، الأثر الكبير في تلك النُقْلة الحضارية الهائلة التي حظيت بها بلاد غرب أفريقية خلال فترة العصور الوسطى ؛ لأن التجار العرب قد تمكنوا مع بداية الفتوحات الإسلامية من التوغل في مدن بلاد المغرب المختلفة، ومن ثم في المراكز التجارية السودانية(١٥). ومن الجدير بالذكر أن التجار البربر كانوا قد سبقوا العرب في نشاطاتهم التجارية مع بلاد السودان الغربي، كما استقروا مع العرب في ممارسة أعمالهم التجارية بتلك المناطق . وفي خلال هذا التقدم كانت الصحراء هي الطريقَ الرئيسة لعملية التوغل العربي التجاري إلى الجنوب، ويبدو أن هذا التوغل هو الذي هيأ المجال للعرب ليس فقط لممارسة تجارة الصحراء ، بل للالتقاء والاختلاط مع بربر الصحراء والتأثير عليهم ، وحدث الأمر نفسه بالنسبة للأفريقيين في بلاد السودان الأوسط والغربي. لذلك لعبت تجارة القوافل دوراً بارزاً في التفاعل الحضاري بين مراكز الحضارات القديمة، مثلما عملت على توسيع الاتصالات بين شمال القارة ووسطها وغربها. كما عملت هذه التجارة على تنشيط حركة المواصلات والتبادل التجاري، فازدادت المعرفة بثروات تلك البلاد، وازدادت النقلة من وإلى بلاد السودان الغربي والأوسط على أثر دخول الجمل أفريقية - كما سبق القول - وقلّتْ الأخطار والمخاوف التي تكتنف السفر داخل الصحراء ، ولوحظ هذا الازدياد وهذا النشاط منذ القرن الرابع الميلادي تقريباً(١٦). وكان سكان شمال أفريقية من فينيقيين ويهود وإغريق ورومان وبربر وعرب يشجعون تجارهم على تنمية علاقاتهم التجارية

وغيرها مع غرب أفريقية ، وعقد هؤلاء التجار معاهدات تجارية مع مواطني غـرب أفريقيا في العصور الوسطى[١٧].

وبزيادة الاتصالات وسهولتها ، كثرت هجرات عربية من الشرق وشمال أفريقية إلى بلاد السودان جنوبي الصحراء ولاسيما بعد ظهور الإسلام. فبعد الفتح العربي الإسلامي لمصر عام (٢٠هـ -٦٤١م)، وما تـلاه مـن فتـح شمـال أفريقيـة ، وصلت حملات إسلامية إلى منطقة كاوار (**Kawar**) قـرب بحيرة تشـاد حـوالي عـام (٤٦هـــ-٦٦٦م) ، وإلى السـنغال عـام (١٠٢هــ- ٧٢٠م)، وأدت إلى استقرار أعدادٍ كبيرة منهم في بلاد السـودان علـى حافـة الصحـراء ، وإلى اختـلاط هؤلاء بالسكان الأصليين، ممـا كـان لـه أكـبر الأثـر في تغيـير ألـوان الزنـوج -عـبر القرون- في تلك المناطق، حتى كان استخدام كلمة " أسود " للدلالة على سـكان مناطق السافانا جنوبي الصحراء أدقّ من كلمة زنجي[١٨]. ولكـثرة الآثـار الشـرقية والإسلامية وتنوعها في العصر الإسلامي ، ظل العالم الأوروبي لبضعة قرون، يعتقد أن بلاد السودان والصحراءَ في شماليها ، ليست سوى جزء مـن البـلاد الداخلـة في نطاق العالم الإسلامي[١٩].

تمكن المسلمون في شمال أفريقية - بعد ذلك - أن يحتكروا تجـارة القوافـل عبر الصحراء، بل وتمكنوا من أن يتصلوا بقلب أفريقيا اتصـالاً مباشـراً. ولأسـباب دينية وتجارية أصر المسلمون في شمال أفريقية على احتكـارهم المطلـق للقيـام بـدور الوسيط مع الأقـاليم الداخليـة في أفريقيـة عـبر الصحـراء . ولذلـك اقتصـر نشـاط التجار المسيحيين على المناطق الساحلية من بلاد شمال أفريقية[٢٠]. هـذا كلـه يمكـن القول :-إ ن هناك علاقة تجارية قديمة بين البلاد الـتي كـان العـرب يطلقـون عليهـا اسم المغرب، وبين البلاد الواقعة جنوب الصحراء، وكان ذلك قبـل القـرن السـابع الميلادي، وازداد بعد ذلك بدخول الإسلام في القارة الأفريقية .

ومن المعروف أن هناك ثلاثة طرق رئيسةً صحراويةً تربط بلاد المغرب في الشمال ببلاد السودان في الجنوب عبر الصحراء ، وهي : -

١ - الطريق الشرقي : الذي يربط المغرب الأدنى (ليبيا وتونس) بالسودان الغربي (كوار وكانم) عبر صحراء فزان.

٢ - الطريق الأوسط : يربط المغرب الأوسط (الجزائر الحالية) بالسودان الأوسط (كوكو) عبر الصحراء الوسطى.

٣ - الطريق الغربي : يربط المغرب الأقصى (المملكة المغربية حالياً) بالسودان الغربي (غانة والتكرور ومناجم الذهب) عبر الصحراء الغربية[٢١] .

لقد كانت هذه الطرق تبدأ من مصر وطرابلس وتونس وتلمسان ومراكش متجهةً إلى الجنوب ، فتجتاز الصحراء الكبرى وتصل إلى المراكز الرئيسة في غربي أفريقية ، مثل غانه القديمة ، وإلى تنبكت (تمبكتو) وولايات الهوسا وكانم - برنو . وقد تتصل بعض هذه الطرق في الصحراء ثم تتفرع إلى جهات مختلفة. فمثلاً القافلة التي تبدأ من القاهرة تتجه أولاً صوب المغرب إلى أوجله ومرزوق، وهناك تتصل بقافلة أخرى من طرابلس فيتجه بعضها نحو الجنوب إلى كانم - برنو بواسطة بلما ، في حين أن بعض القوافل تستمر جنوباً إلى أن تصل إلى غاط (Gatt) حيث تلتقي بقافلة أخرى من تونس ، ثم تتجه صوب الجنوب إلى ولايات الهوسا عن طريق أهير (Ahir) . ووصف لنا المؤرخ فاجى(Fage) تلك الصلة التجارية التي كانت قائمة بين المغرب وغربي أفريقية فيما بين القرن الخامس والقرن الثامنَ عَشَرَ الميلادي، حيث ذكر عدة طرق تجاريةً في تلك الفترة [٢٢]. ويذكر المؤرخ **بوفيل** (Bovil) أربعة طرق رئيسةً كانت تربط بين الشمال والجنوب وهي[٢٣] :-

١ – من سجلماسة إلى ولاته ، ثم تتجه إلى بلاد السنغال وأعالي نهر النيجر حيث الذهب .

٢ – ومن غدامس إلى بلاد الهوسا الغنية عن طريق غاط وأهير .

٣ – من طرابلس إلى البرنو ونهر تشاد ماراً بفزان وكوار .

٤ – ومن قونية (Cyrenaica) إلى وداى عن طريق كفرة .

وقد أصبحت كل هذه المراكز تجارية وثقافية مشهورة ، وكان فيها أسواق مشهورة يؤمها كثير من التجار من شتى البلاد المغربية . وقد قام كل منها بنشاط في نشر الإسلام والثقافة العربية في مختلف الأزمان . وكان أولئك التجار يجلبون معهم إلى غربي أفريقية تلك البضائع المطلوبةَ كالحرير والسروج والنحاس والملح وأدوات شتى من منسوجات، فيبيعونها ، ويشترون الذهب والجلود والعاج والعبيد (٢٤).

لقد كانت هذه العلاقة التجارية بين العرب وغربي أفريقيا التي بدأت في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) وازدهرت بعد القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) هي بداية انتشار الإسلام واللغة العربية في أفريقيا بصفة عامة . ولقد استمرت هذه العلاقة بطريقة سِلْمِيّة طبيعيةٍ منذ ذلك التاريخ إلى أن تمت بانتشار الإسلام في القارة الأفريقية . فالتجارة ، بطبيعة الحال، تلزم إيجادَ لغةٍ للتخاطب بين البائع والمشتري ، كما تُوَلِّدُ الصلةَ الحميمة بينهما . وبما أن اللغة العربية كانت أرقى من اللغات المحلية، فمن الطبيعي أيضاً أن يلتقطها التجار الأهالي من إخوانهم العرب وينشرونها فيما بينهم، فَوضَعَتْ هذه العلاقةُ التجاريةُ الحجرَ الأساسَ للعربية في افريقية ، وبدأ أولئك التجار يدخلون كلماتٍ وتعابيرَ في تلك المناطق ، فانتشرت تلك الكلمات والتعابير تدريجياً حتى توغلت في تلك الربوع الأفريقية ، واندمج بعضها في اللغات المحلية وخاصة بعد انتشار الإسلام، ومما

يؤكد هذا ،وجودُ كلمات عربية كثيرة في بعض اللغات الأفريقية مثل لغتي الهوسا والفلاني،[٢٥] وخاصة أسماء تلك البضائع التي كانت تُصَدَّرُ إليها من المغرب في تلك القرون الغابرة ، وهذا فضلاً عن الكلمات والتعابير الإسلامية التي دخلت مع دخول الإسلام. ثم بالإسلام ظهرت الممالك الإسلامية الكبرى مثل غانا ومالي وصنغي وكانم ، وهي ممالك أفريقية . والراجح أن يكون الإسلام قد دخل غانا عن طريق السلْم، وانتشر بالطريقة نفِسها، فيكونُ التجار والدعاة الذين دخلوها أفراداً ووفوداً هم الذين قاموا بنشره ثم اتسعت رقعته كثيراً بعد حركة المرابطين، وتوغل في غرب أفريقية ووسطها . ومما يذكر أن المرابطين كانوا يرسلون العلماء بين القبائل السودانية لبث العقيدة الصحيحة. وبفضل هذه الحركة نشطت الاتصالات التجارية والثقافية بين بلاد السودان وبين العالم الإسلامي[٢٦]. ولقد كان للثقافة الإسلامية العربية أثر واضح في حكومة غانا القديمة قبل دخول المرابطين. فالمسلمون هم الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة ، فلذلك كانوا هم الذين يتولون ادارة الدواوين، ومنهم الوزراء الذين **كانوا يساعدون الملوك الوثنيين**. وقد ذكر البكري ((**أن تراجمة الملك من المسلمين ، وكذلك صاحبُ بيت ماله، وأكثُر وزرائه**))[٢٧] .ثم أخذت مملكة مالي دور غانا بعد اختفائها من المسرح التاريخي السياسي[٢٨]، فواصلت عمليةَ نشر الإسلام والثقافةِ العربية الإسلامية، التي بَلَغَتْ أوجها بين القرنين الثالث والرابع للهجرة(التاسع والعاشر للميلاد) وأصبحت من كبرى الدول الإسلامية التي قامت في غربي أفريقية في تلك العصور . وكان أهلها متمسكين بالإسلام ومتحمسين له وخاصة قبيلة الماندنجو. وقد أعطى ابن بطوطة صورة واضحة لهذه المملكة عند زيارته لعاصمتها مالي في سنة (٧٥٣هـ / ١٣٥٢م)، وقد أعجب بشدة عنايتهم بحفظ القرآن الكريم حيث قال : ((وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصيُر في حفظه فلا تُفَكُّ عنهم حتى يحفظوه، ولقد دخلتُ على القاضي يوم العيد وأولادُه

مقيدون، فقلت له: ألاَ تُسَرِّحُهم؟ فقال: لا أفعل حتى يحفظوا القرآن)). وقال أيضاً: " مررت يوماً بشاب من أهل مالي حسن الصورة، عليه ثياب فاخرة، وفي رجله قيد ثقيل، فقلت لمن كان معي :- ما فعل هذا؟ أَقَتَلَ؟ ففهم عني الشاب وضحك، وقيل لي :- إنما قُيِّدَ حتى يحفظ القرآن "[٢٩].

هذا، ويتضح مما سبق أن الإسلام قد دخل غربي أفريقيا ووسطها أولاً بطريقة سَلْمِيّة، وهي طريقة التجارة والدعوة. وبما أن دولة غانه كانت أقدم دولة أفريقية في تلك المنطقة، فمن الطبيعي أن يدخل الإسلام ثم ينتشر منها إلى البلاد المجاورة. وبعد سيطرة المرابطين على دولة غانا، وسيطرة المسلمين التامة على طرق القوافل التجارية منذ مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، أخذ الإسلام ينتشر بسرعة فائقة عن طريق الفتح والتجارة والدعوة. وبهذا اتّسع نطاق الإسلام إلى البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى. وفي ظل هذا الازدهار وتلك الحماية التي وجدتها تجارة القوافل، تسربت الثقافة العربية الإسلامية إلى بلاد جديدة لم تطأها أقدام المسلمين، فوصلوا أراضي دندي، ويوري، ونوبى، ثم توغلوا جنوباً حتى بلاد الأشانتي وداهومى[٣٠].

تلا انتشارَ الإسلام، أن انتشرت اللغةُ العربية، وقد ساعد على انتشارها والتمسك بها فضلاً عن الجانب الديني المرتبط بها، أن الكثير من الشعوب الأفريقية في السودان الأوسط والغربي قد ادَّعت الأصول الشرقية. لقد ادّعى ملوك مالي والتكرور وصنغي وبرنو والهوسا والفلانيين وغيرهم؛ أنهم انحدروا أصلاً من العرب، وأن أسلافهم الأوائل جاءوا من الشرق، ومن العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في أفريقيا الإسلامية هجرة القبائل إلى تلك البلاد واستقرارها فيها، وهذه الهجرات قديمة وسابقة على دخول الإسلام، وازدادت بانتشار

الإسلام. ثم إن مصاهرة العرب والبربر مع القبائل الأفريقية ساعد على انتشار اللغة العربية بجانب الإسلام مثل قبائل شوا (في تشاد) والفلاني والماندنجو[٣١] . وظفر الإسلام واللغة العربية بنجاح كبير في هذه البلاد، فأدى ذلك إلى تقدمها وتطورها، فتطلعت إلى البلاد الإسلامية في الشمال والشمال الشرقي من أجل العقيدة والمدنية، و لم تَحُلْ وعورة الصحراء دون اجتيازها[٣٢].

ويقترن العهد الزاهر للغة العربية والعلوم العربية الإسلامية في غربي أفريقية بعهود الممالك الإسلامية الأفريقية الكبرى في غانا ومالي وصنغي ثم برنو، وممالك الهوسا والتكاررة والفلانيين. فقد كانت اللغة العربية اللغة الرسمية السائدة فيها واستُخْدِمتْ في شتى الأغراض وأَوْفَتْ بها. لقد استخدمت في مجال الحكم والإدارة والقضاء، ثم هي لغة المكاتبات الرسمية بين هذه الدول وبين العالم الإسلامي الخارجي. ووجد في الدواوين الرسمية زمنَ دولة المماليك صيغ عربية خاصة لمخاطبة ملوك تلك البلاد، لابد من تصدير المكاتبات بها[٣٣].

لذلك يتضح من هذا العرض السريع، أن اللغة العربية كانت اللغة الأم في العصور الوسطى في جميع البلاد الإسلامية، واستمرت كذلك حتى قيام الخلافة الصكتيه التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي في بداية القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) في شمال نيجيريا وعاشت حتى مطلع القرن العشرين. فكانت اللغة العربية طيلة هذه القرون هي لغة الدين والثقافة والتجارة ، ثم هي لغة الحكومة، كما أصبحت لغة تخاطبٍ في كثير من بلاد نجرتيا،[٣٤] مع وجود اللغات المحلية كلغة الهوسا والفلاني والبرنو وغيرها، ثم هي من بعد ، لغة المراسلات الدولية والوثائق والمعاهدات. و بمعنى آخر :-كانت اللغة العربية هي اللغة السائدة (Lingua Franca). وقد تفانى ملوك تلك البلاد في نشر الإسلام واللغة العربية بين الزنوج. وذكر ابن حوقل أن ملك أودغست(تيبوتان) كان شديد الحماس

لنشر الإسلام واللغة العربية بين قومه وبين الزنوج المجاورين من ناحية الجنوب[٣٥]. وكانت اللغة العربية في غانه وولاته ونيمه (Nima) هي لغةَ العبادة والثقافة الوحيدةَ في البلاد، وهذا بجانب كونها لغة التجارةِ المستعملةَ في التبادل التجاري والمكاتبات، واحتلت هذه اللغة في غانه وفي غيرها من بلاد السودان الغربي والأوسط المكانة التي احتلتها اللغة اللاتينية في أوروبا في العصور الوسطى، بل زادت عليها؛ إذ بقيت اللغة العربية بتلك البلاد لغة الدين والثقافة حتى في العهد الاستعماري، بينما زالت اللغة اللاتينية تدريجياً أمام زحف اللغات الجرمانية القومية بأوروبا في تلك العصور، أكثر من هذا، شهد بعض المكتشفين والمستعمرين في مطلع العصور الحديثة بأن إلمام سكان غربي أفريقية باللغة العربية، يفوق إلمام أوروبا باللغة اللاتينية في العصر الوسيط[٣٦].

وكما سبق، فإن المرابطين كانوا يرسلون العلماء بين القبائل الأفريقية لبث العقيدة الصحيحة. وأقبل الأفريقيون المسلمون على مناهل العلم العربية في حماس تلقائي، بسبب ما اتصف به انتشار الإسلام ولغته من تسامح وفضائل، وبفضل ما امتاز به المسلمون من العرب والبربر الذين استقروا في غانه وغيرها من بلاد السودان، والذين اتصلوا بتلك البلاد، من كفاءة وخبرة في شتى الميادين الاقتصادية والإدارية فضلاً عن الجانب الثقافي، إذ كان المسلمون يمثلون حضارة رفيعة ومدنية سامية، بدليل استعانة ملوك غانه بهم في أَجَلِّ أعمالهم.

وبالإضافة إلى الدور الذي قام به التجار والدعاة في نشر الإسلام في غانه، فهناك عامل آخر ساعد على نشره في الممالك المجاورة لها، وذلك هو الهجرة التي قام بها التجار المسلمون من غانة إلى المدن الأخرى، وخاصة إِثْرَ غزوِ قبائلِ الصوصو الوثنيةِ لغانا والاستيلاءِ عليها[٣٧]، فانتشروا في البلاد وأقاموا مراكز تجارية أصبح لبعضها أهمية عظيمة وأثر كبير في نشر الدين والثقافة العربية في أفريقية.

وتعدّ مرحلة انتشار الإسلام والعلومِ الإسلامية على أيدي ملوك مالي أيضاً من المراحل الهامة في تاريخ تطور وانتشار اللغة العربية على نطاق واسع في بلاد السودان الأوسط والغربي. ففي هذه المرحلة ازدهرت الحركة العلمية ، وعُرِف عن السلطان كنكن موسى أنه استقدم عدداً كبيراً من العلماء، ولاسيما من الحجاز ومصر والمغرب والأندلس [٣٨] ، فامتلأت بلاده بالعلماء من السود والبيض على السواء. وكان ازدهار حركة التبادل التجاري بين مالي والخوارج ، من العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في مالي[٣٩] . ومن المدن التي اشتُهِرَتْ بكثرة علمائها : تنبكت (تمبكتو) ومالي وجنى وجاو[٤٠] ، حتى إنه عندما تدهورت دولة مالي سياسيا، بقيت هذه المدن محتفظة بمكانتها العلمية كمراكز كبرى للثقافة الإسلامية في قلب أفريقية. وأهم مركز ثقافي في تنبكت (تمبكتو): مسجدُ سنكري أو جامعة سنكري، ففيها كان العلماء من كل فنون العلوم الإسلامية، وأكثر العلماء من البيض من قبيلة جدالة بصفة خاصة ، ومن أعظم علمائها المؤرخ الفقيه أحمد بابا الذي نقل عنه السعدي الكثير مما أورده في كتابه " تاريخ السودان"[٤١] .

وقد وُجِدت المدارسُ الكثيرة في جميع المدن المشهورة بجوار المساجد، مثل مدارس غانه ومالي. ويقول ابن بطوطه عن أهل مدينة مالي:- إنهم قدماء في الإسلام ولهم ديانة وطلبُ علمٍ[٤٢] . وبجانب الاهتمام بالقرآن ، كما ذكر ابن بطوطه، هناك الاهتمام بلغة القرآن، وهي اللغة العربية التي اكتسبت مسحة من التقديس عند مسلمي غربي أفريقية عامة ، وكانت جميع الوثائق الهامة تكتب باللغة العربية. ويقول توماس أرنولد " **غدت اللغة العربية لغة تخاطبٍ بين قبائل نصف القارة" [٤٣]. ويقول ديشان (Deschan) : "ولم تكتف قبائل الممالك الأفريقية بدخول الإسلام، بل طبعت بطابع عربي بسبب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد" [٤٤]** .

وهناك خصائص معينة في نطق حروف العربية بين مسلمي عربي أفريقية. وأما طريقة الكتابة، فهي طريقة المغاربة ، مما يوضح أثر شمالي أفريقيه في ذلك، قول القلقشندى " **وكتاباتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة وقد ورد إلى السلطان الناصر كتاب من موسى (سلطان مالي) بالخط المغربي** "(٤٥)

ساعد ازدهار إمبراطورية مالي الإسلامية واتساعُ رقعتها وعظمةُ ملوك المسلمين وتفانيهم من أجل خدمة الإسلام والثقافة الإسلامية على أن تترك اللغة العربية أثرها القوي في اللغات المحلية ، ولاسيما لغاتُ الهوسا وصنغي والفلاني، فاستُخدمت اللغة العربية منذ ذلك التاريخ في كتابة اللغة الفلانيه ولاتزال إلى اليوم.

كذلك يُضَمُّ إلى هذا الدور ماقامت به مملكة كانم - برنو من جهود كبيرة لنشر الإسلام ولغته العربية، تلك المملكة، التي تأسست قبل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، ثم دخل إليها الإسلام عن طريق التجار أولاً ثم انتشر تدريجياً، كما دخلت اللغة العربية وانتشرت ، ولقد ساعد في انتشارها وجود عدد كبير من العرب فيها، ووجود صلة تجارية وثقافية وسياسية مع البلاد العربية الإسلامية. والمشهور أن الإسلام وصل إلى كانم من مصر مباشرة (٤٦) .ومن أشهر دعاة الإسلام في كانم محمد بن ماني في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي). واشْتُهر حكامُ برنو بحماستهم للدعوة الإسلامية بين القبائل الوثنية ، حتى إن الماي عثمان بن زينب (ت٧٠٠هـ/١٣٠٠م) ادّعى أنه من نسل عثمانَ بنِ عفان(٤٧).

كان العامل التجاري من عوامل ازدهار اللغة العربية وانتشارها على نطاق واسع حول بحيرة تشاد وماجاورها، وكانت طرق القوافل التجارية تبدأ من طرابلس وتتجه إلى الجنوب عن طريق فزان وبلما إلى أن تصل إلى كانم ، وهذا مما سهل وصول التجار المسلمين إليها ، وبالتالي دخولُ الإسلام. فلاشك أن التجار

هم الذين أدخلوا الإسلام إلى تلك المنطقة. وقد ذكر محمد بلو ابن الشيخ عثمان بن فودي في كتابه **إنفاق الميسور** :- أن الإسلام دخل كانم عن طريق التجار والمسافرين. وأضاف محمد بلو أن أهل هذه البلاد يهتمون بقراءة القرآن وتجويده وحفظه، والكتابة باللغة العربية منذ وقت بعيد(٤٨).

وفي خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، شهدت مملكة برنو عصراً مزدهراً بالفتوحات والتقدم السياسي والثقافي، ذلك هو عصر الملك إدريس ألوما (٩٧٩-١٠١٢هـ/١٥٧١-١٦٠٣م)، وهو الملك العادل الشجاع التقي، حسب مايصفه لنا مؤرخه أحمد بن فَرْطُوا (Fartuwa) . فقد قام هذا الملك بعدة غزوات، واستولى على المناطق الواقعة في غربي كنو كلها حتى وصل إلى كنو (في شمال نيجيريا)، وهكذا وصلت مملكة برنو إلى أوجها(٤٩) وكانت كذلك إلى أن ظهرت الثورة الإصلاحية التي قام بها الشيخ عثمان بن فودي في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي).

لقد استطاع ملوك كانم وملوك برنو في أيام ازدهار دولتهم إيجادَ علاقة سياسية وتجارية بين دولتهم والبلاد العربية الإسلامية وخاصة مصرَ وطرابلسَ وتونس ومراكش، وكذلك الحجاز بسبب الحج(٥٠). وقد أورد لنا المؤرخون بعض المراسلات التي جرت بين هذه المملكة وتلك البلاد العربية. والظاهر أن هذه العلاقة بدأت بسبب الحج، إذ إنه من المعروف : أن كثيراً من ملوك كانم - برنو كانوا يؤدون تلك الفريضة، ويذكر لنا ابن خلدون وصول رسول من كانم في سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م) إلى أبي عبد الله محمد (المستنصر الأول) أحد خلفاء بني حفص بتونس. وكان الرسول يحمل معه هدايا ثمينة إلى الخليفة(٥١) . وقد أورد أيضاً القلقشندي نص الرسالة التي كتبها ملك برنو عثمان بَرِيٍّ بن إدريس (٧٩٤-٧٩٦هـ/١٣٩١-١٣٩٣م) إلى السلطان الظاهر سيف الدين برقوق بمصر يستنجد

... عدائه(٥٢)

خريطة
توضح أهم المدن
والمراكز التجارية
في
شمال وغرب أفريقية
في العصور الإسلامية
الوسيطة

المحيط الأطلسي
فرنسا
مدريد
أسبانيا
لشبونه
إيطاليا
اليونان
تركيا
قبرص
البحر الأبيض المتوسط
طنجة
تلمسان
القيروان
طرابلس
فاس
مراكش
سجلماسه
توات
غدامس
فزان
مرزوق
كوار
مصر
نفازه
كومبي صالح
أغاديس
بلما
أهير
اودغست
ولاته
ونقارة
نيمه
وداي
كوكو
البرنو
الفاشر
السودان
نهر السنغال
السنغال
تمبكت
تكوه
جاو
بحيرة تشاد
صكت
كنو
النيجر
الكمرون

المدن
الطرق

ولاشك أن العلاقة التي كانت موجودة في تلك القرون الغابرة قد ساعدت كثيراً في نشر الثقافة العربية الإسلامية في تلك المنطقة، فقد انتشر فيها التعليم ، وكثر من يتكلم باللغة العربية ، وكثر العلماء ، ومما ساعد في نشر اللغة العربية: وجودُ عدد كبير من العرب الوافدين إليها الذين اشتهروا باسم قبيلة شوا (Shawa) ، وهذه القبيلة – التي سبقت الإشارة اليها – تسكن الحدود الشرقية للبرنو بجوار نهر تشاد(٥٣).

مما تقدم ، نستطيع أن نقول: إن حركة التبادل التجاري بين شمالي وغرب أفريقية ، ونشاطها المستمر ، وازدهارَ التجارة واستمرارَها على مر الأزمان والأجيال، قد ساعد إلى حد كبير في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في القارة الأفريقية جنوب الصحراء ، والفضل يرجع إلى التجار والدعاة الذين قاموا بالمخاطرة واجتازوا الصعاب. ويعتبر ذلك من أهم الإيجابيات لدخول الإسلام وانتشار الثقافة الإسلامية في المغرب وأفريقيا ، فساعد كذلك على توسيع شبكة الاتصالات الإنسانية والاقتصادية داخل القارة السمراء، فأتيحت -بفعل ذلك- لبقية العالم، شرقاً وغرباً، فرصة الاستفادة منها، وتنمية ثروته وموارده. وإن استقرار العرب في المدن والمراكز الأفريقية ببلاد السودان ، كان بدون شك عاملاً كبيراً في أن تصبح هذه المدن مركز لقاء واختلاطٍ بين العرب وغيرهم من الشعوب الأفريقية في شمالي وغربي الصحراء. وبرزت أولى نتائج هذا التواجد بإيجاد مؤسسات إسلامية ثابتة في المدن الأفريقية التي ازدهرت في العصور الوسطى بالتجارة والثقافة وعامل الدين، وهذه المؤسسات تتمثل في المساجد ومراكز التعليم، وقد وصلت قمة ازدهارها في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، كما قامت هذه المؤسسات -بدورها- في تعزيز علاقات الاختلاط بين المجموعات السكانية المختلفة في داخل هذه المدن التجارية والثقافية . وبازدياد

توغل وانتشار التجار العرب في المراكز التجارية المختلفة في بلاد غربي أفريقية . نتج عن ذلك نشوء عدة مناطق استقرار ثابتة ، تجارية وإسلامية . فمن بين تلك المراكز التجارية الناشئة في السودان الغربي – على سبيل المثال – كان هناك الحي الإسلامي في مدينة غانة، تلك المدينة التي شهدت نشاط التجار العرب كالمغاربة والمصريين والحجازيين والعراقيين وأهل الشام واليمانيين (٥٤) ، الذين استقروا وانتشروا في تلك البلاد ، لاسيما أن مدينة غانة كانت المدخل الوحيد للوصول إلى مناجم الذهب الواقعة جنوبها. وفي القرن الخامس الهجري (الحاديَ عشرَ الميلاديِّ) استمر الوجود التجاري في مدينة غانه وغيرِها في الازدياد(٥٥) ولعل من أوضح نتائج هذا التواجد هو ازديادُ قيمة التجارة في غانه، إضافة إلى نمو الاتصالات التجارية مابين غانة من جهة وما بين مناطق المغرب الأوسط والأقصى من جهة أخرى. وقد ساعد وجود التجار العرب في المراكز التجارية في السودان الغربي ، بل توغُلهم المكثف فيه ، على حدوث عمليات الاختلاط والتزاوج بين العرب والزنوج في مراكز التجارة السودانية الأفريقية في بلاد غربي أفريقية ، كما أدى إلى قيام النشاطات التجارية الواسعة بين المراكز التجارية في الشمال والمراكز التجارية في الجنوب. وأصبحت تلك المراكز بدورها مراكز لقاء بين العرب والأفريقيين في جنوبي الصحراء ، ويظهر أثر ذلك واضحاً في التأثير الإسلامي الحضاري في تلك المنطقة منذ دخول الإسلام فيها في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) إلى أن ازدهر في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)(٥٦).

" الحواشي والتعليقات "

١ - للمزيد من التوضيحات انظر • محمد محمد زيتون • " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري" مجلة كلية العلوم الاجتماعية • جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض• العدد (٣) (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص ٢١١ ومابعدها • H.H. Johnston.

A History of the Colonization of Africa by An Alien Races (Cambridge, 1913) pp. 15-20; B- Davidson. Old Africa Re-discovered (London, 1959) pp.70-73.

٢ - ويقال إن بلاد السودان ، تعني بلاد السود ، ومن ثم فإن كلمة السودان المأخوذة من هذا اللفظ تدل على جميع البقاع التي يقطنها السود من قارة أفريقية• وقد جرى العرب وكذلك الأوربيون على قصر هذه التسمية على الجزء الشمالي من تلك الأقطار، أو إطلاقِها بصفة أعمّ على تلك المنطقة شِبه الصحراوية من أفريقية التي تغلغل فيها الإسلام، وتقسم المنطقة من الناحية العملية إلى ثلاثة أقسام هي :- (١) السودان الغربي، ويشمل حوض نهر السنغال ونهر غمبيا والمجرى الأعلى لنهر فولتا والحوض الأوسط لنهر النيجر• (٢) السودان الأوسط، ويشمل حوض بحيرة تشاد• (٣) السودان الشرقي• وهناك تعريف آخر لبلاد السودان في العصور الوسطى، حيث إنها المنطقة الممتدة من حوض السنغال في المحيط الأطلسي غرباً إلى ساحل الصومال في المحيط الهندي شرقاً، وهي كذلك بلاد غربي أفريقية• للمزيد من التفصيلات انظر، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران

السعدي، تاريخ السودان، تحقيق هوداس (Houdas) (باريس، ١٩٦٤م) ص ٩ ومابعدها، دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى اللغة العربية ، مادة " السودان" مج ١٢، ص ٣٢٧-٣٢٩؛ السر سيد أحمد العراقي، " ملامح تطور الحضارة الإسلامية في بلاد السودان الأوسط والغربي " مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب، جامعة المنيا، المجلد الثالث ، العدد الثاني (١٩٩٣م) ص ٥٦٩ .

٣ - للمزيد انظر، إبراهيم علي طرخان، " قيام امبراطورية مالي الإسلامية" دراسات في التاريخ القومي الأفريقي، مستخرج من مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، العدد الأول سنة (١٩٧٠م) مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧٠م ،ص ٤-٦ ، محمد محمد زيتون " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب..." ص ٢١٩-٢٢١

٤ - انظر معلومات أكثر في : عماد الدين إسماعيل أبو الفداء، تقويم البلدان ، تحقيق رينود والبارون ماك كوكين ديسلان (باريس: دار الطباعة السلطانية ، ١٨٤٠م) ص ١٥١ومابعدها،محمد بن عبد الله اللواتي ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق علي المنتصر الكتاني، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) جـ٢، ص ٧٨١-٧٩٨، إبراهيم علي طرخان، " الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي " مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، العدد (٢) (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) (القاهرة : دار النهضة للطباعة ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ص ٩ .

٥ – عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان ، ص ٢٥ ومابعدها ، أمين محمود، " طرق الحج والتجارة العربية في العصر الإسلامي " مجلة الفيصل، (١٨) (١٣٩٨هـ/١٩٦٨م) ص ١٩–٢٢ ، وللمزيد من التفصيلات عن الصلات بين الجزء الغربي من العالم الإسلامي وحواضر العالم الإسلامي الشرقية في الحجاز والشام والعراق وفارس انظر، محمد بن أحمد بن جبير: رحلة ابن جبير (بيروت: دار الكتاب اللبناني، د.ت) ص ٤١ ومابعدها، غيثان بن علي بن جريس، بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية ، تقديم ومراجعة : أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) جـ١، ص ٤١–٥٨، محمد محمد إبراهيم زغروت، " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين" مجلة الدارة ، العدد (١) سنة (١١) (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ١١٥ ومابعدها ، السر سيد أحمد العراقي، " انتشار اللغة العربية في بلاد غربي أفريقية عبر التاريخ" مجلة دراسات أفريقية ، المركز الإسلامي بالخرطوم، العدد (١) رجب (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، ص ١٠٢–١٠٣ ، S.M. Imamuddin

"Relation of Spain with Ifriqiyah and Egypt in the tenth Century A.C." Islamic Culture Vol. (38) (1964). pp.9-14.

٦ – للمزيد من التوضيحات انظر، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، كتاب فتوح مصر وأخبارها (ليدن : مطبعة بريل، ١٩٢٠م)ص ١٧٠ ومابعدها، أحمد بن يحيى بن جابرالبلاذري، فتوح البلدان (بيروت دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص٢١٤ ومابعدها،محمد محمد زيتون، " العلاقات الثقافية بين

القيروان وبين المراكز الفكرية في المغـرب ..." ص ٢١٢ ومابعدهـا، غيثان بن علي بن جريس " الطرق التجارية البرية والبحريـة المؤدية إلى الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكـرة " مجلة العرب جـ٧-٨ سنة (٢٦) (١٤١٢هـ/١٩٩١م) ص ٤٤٧ ومابعدها ، غيثان بن علي بـن جريس " تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشـة وبـلاد النوبـة وبين الحجـاز في صـدر الإسـلام" مجلة جامعـة الإمـام محمـد بـن سـعود الإسـلامية بالريـاض. العـدد (٨) رجـب (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص ٤١٢ ومابعدها.

٧ - أبو عبد الله بن عبد العزيـز البكـري." المغـرب في ذكـر بـلاد أفريقيـة والمغرب " وهو جـزء مـن كتـاب المسـالك والممـالك. نشـره رانـدون (Randon) (الجزائر : د.ن ، ١٨٥٧م) ص ١٧٤ -١٧٥ .

٨ - المصدر نفسه ، ص ١٧٩ .وللمزيد من التفصيلات انظـر أيضـاً. آدم عبد الله الألوري. موجز تاريخ نيجيريا (بيروت : د.ن ، ١٩٦٥م)

٩ - أبـو العبـاس أحمـد بـن علـي القلقشـندي. صبـح الأعشـى في صناعـة الإنشـا . (القـاهرة : طبـع دار الكتـب المصريـة، ١٩٠٦م) جــ٥، ص ٢٨٤ .

١٠- عبـد الرحمـن السـعدي. تـاريخ السـودان، ص ٤٣ ومابعدهـا؛ دائـرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى اللغة العربية ، مادة " السودان" مج ١٢، ص ٣٢٨ ومابعدها. R. Palmer. The Bornu. Sahara and Sudan (London, 1936) pp. 6-7, 149.

١١- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي. معجم البلدان (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) جـ٤، ٤٣٢؛ إبراهيم علي طرخان. " غانة في العصور الوسطى" المجلة التاريخية المصرية (التي تصدر عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية) مج١٣، (١٩٦٧م) ص ٥١-٥٤ .

١٢- عمرو بن بحر الجاحظ. كتاب التبصر بالتجارة. تحقيق حسن حسني عبد الوهاب. (بيروت: دار الكتاب الجديد،١٩٦٦م) ص ٣٤؛ آدم الألوري . موجز تاريخ نيجيريا، ص٣٥ .

J.Fage. An Introduction to the History of west Africa (Cambridge,1959) pp.21-22, Nehemiah Levizion.

" The Long March of Islam in the western Sudan" in the middle Ages of African History, ed. by. Roland Oliver (London, 1967) pp.13-14.

١٣- أبو إسحاق إبراهيم الفارسي الإصطخري المعروف بالكَرْخِي. كتاب مسالك الممالك. تحقيق ام .دي غوي (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٢٧م) ص ٢٩-٣٠ . وللمزيد من التفصيلات عن اختلاط أهل غرب ووسط أفريقية بمن حولهم من الشعوب انظر. أبو القاسم ابن حوقل النصيبي. كتاب صورة الأرض. تحقيق ام.دي غوي (ليدن : مطبعة بريل، ١٩٣٩م)، ص ١٠٤ ومابعدها؛ أبو علي أحمد بن رسته. كتاب الأعلاق النفيسة. تحقيق ام .دي غوي (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩١م) ص ٣٤٧ ومابعدها. محمد زغروت " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها..." ص١١٨ ومابعدها؛ محمد ريتون " العلاقات الثقافية بين القيرون وبين المراكز الفكرية في

المغرب..." ص ٢١١ ومابعدها،

S.M. Imamuddin. " Commercial Relation of Spain with Ifriqiyah..." pp.12ff.

١٤- للمزيد من التفصيلات انظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. تحقيق ام. دي غوي (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٧٦م)، ص٢١٥، ومابعدها، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله المعروف بالشريف الإدريسي. كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) جـ١، ص ٢٢ ومابعدها.

E.W. Bovil The Golden Trade of the moors (London, 1961) pp. 42-3; S.J.Hogben. The Muhammadan Emirates of Nigeria (London, 1930) pp. 4-26; M.Shinnie. An Ancient African Kingdoms (London,1965) pp.66-68; F.L. Lugard. A Tropical Dependency (London, 1905) pp.86-88; H. Johnston. A History of Colonization pp.49-50; R.J.H Church. West Africa (London, 1961) pp.XXIV

١٥- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر(بيروت: د.ن، ١٩٦٧-١٩٦٨م) جـ٦، ص ٧، ٤١١-٤١٢. ولمزيد من التوضيحات انظر عبيد الله بن عبد الله بن خُرْدَاذبة: كتاب المسالك والممالك تحقيق ام. دي غوي (ليدن: مطبعة بريل، ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م) ٩٢-٩٤، ١٥٣ ومابعدها؛ وأبو بكر أحمد بن محمد الْهَمدانيّ. المعروف بابن الفقيه. مختصر كتاب البلدان. تحقيق ام.دي غوي (ليدن مطبعة بريل.

١٣٠٢هـ/١٨٨٥م) ص ٧٨ ومابعدها، محمد زغـروت٠ " العلاقـات التجاريـة الدوليـة ودور المغـرب الإسـلامي فيهـا٠٠٠" ص ١٢١ ومابعدها٠

١٦- محمد زغـروت " العلاقـات التجاريـة الدوليـة ودور المغـرب الإسـلامي فيها٠٠٠"، ص ١٢٠ ومابعدها ، إبراهيم علـي طرخـان " البرتغـاليون في غرب أفريقيا" حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة٠ (مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٧م) مج ٢٥، جـ١ (مايو ١٩٦٣م) ص ١٢-٢٧ ٠

H.Johnston. A History of the Colonization pp.15-20, 24.

١٧- عبـد الرحمن السـعدي٠ تـاريخ السـودان، ص ١١ ومابعدهـا، دائـرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى اللغـة العربيـة ٠ مـادة " السـودان " مـج ١٢، ص ٣٢٦ ومابعدها٠

١٨- الإصطخـري، مسـالك الممـالك،ص ٣٤-٣٥؛ ابـن حوقـل٠ صـــورة الأرض، ص١٠٤ ومابعدهـا، يـاقوت الحمـوي٠ معجـم البلـــدان، جـ٢،ص ٣٨،جـ٤، ٤٣١-٤٣٢

١٩- محمد زيتون٠ " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكريـة في المغرب٠٠٠" ص٢١١ ومابعدها H. Johnston.

A History of the Colonization, pp. 15-20; B. Davidson. Old Africa, pp. 70-73.

٢٠- وللمزيـد مـن التفصيـلات انظـر ٠ السـر سـيد أحمـد العراقـي " تجـارة القوافل بين شمال وغرب أفريقيا وأثرها الحضاري (مجلة تجـارة القوافـل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر) المنظمة العربية للتربية والثقافـة والعلـوم - معهـد البحـوث والدراسـات العربيـة ٠ (بغـــداد، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص ١٤٧-١٤٨ ٠

S.M. Imamuddin " Commercial Relation of Spain with Ifriqiyah...." pp. 10 ff.

٢١- محمد زغروت " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها..." ص ١١٥ ومابعدها؛ أمين محمود عبد الله " طرق الحج والتجارة العربية في العصر الإسلامي " ص١٩-٢١؛ غيثان بن علي بن جريس. بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية ، ص٤٤ ومابعدها.

٢٢- J.Fage. An Atlas of African History (Cambridge, 1958) pp.17-18.

٢٣- E.W. Bovil. The Golden Trade of the Moors, pp.52-53.

٢٤- للمزيد من التفصيلات، انظر: الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص٣٤، المقدسي: أحسن التقاسيم ، ص٢١٥ ومابعدها، السر سيد أحمد العراقي: "تجارة القوافل وأثرها الحضاري" ، ص ١٥١-١٥٢ .

S.M. Imamuddin " Commercial Relation of Spain with Ifriqiyah" pp. 11 ff.

٢٥- ولغة الفُلاَني تعرف باسم لغة الفولي أو الفلدي، وهي اللغة التي تتحدث بها قبيلة الفلاني أو الفُلاَنِيّون المنتشرون في بلاد غربي أفريقيا حتى غرب بلاد السودان الحالية (جمهورية السودان).

٢٦- البكري ، من كتاب المسالك والممالك . ص ١٧٥-١٧٧، محمد زيتون " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب..." ص ٢١٢ ومابعدها.

E.W. Bovil. The Golden Trade, pp. 61-62, J.S. Trimingham. Islam in West Africa (Oxford, 1959) pp. 13-15.

٢٧- البكري، من كتاب المسالك والممالك، ص ١٧٨ ومابعدها

٢٨- ابن بطوطة، تحفة النُّظَّار في غرائب الأمصار، جـ٢، ٧٨١ ومابعدها

E.W. Bovil. The Golden Trade, pp. 90-92; Encyclopodia of Islam, Vol.4, pp.489-491.

٢٩- ابن بَطُّوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، جـ٢، ص٧٩٠-٧٩١

٣٠- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، ص ٩ ومابعدها، وللمزيد من التفصيلات انظر، محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق وتنج (Whitting) (لندن،١٩٥١م)، وحققه أيضاً أبو بكر قُمِّي في القاهرة (١٩٦٤م) ص ٤-٣، حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية (القاهرة : د.ن، ١٩٦٣م) ص ٩٩، السر سيد أحمد العراقي، نظام الحكم في الخلافة الصكتيه (١٨٠٤-١٩٠٣م)(الخرطوم : د.ن، ١٩٨٣م) ص ٧-١٥،

H.A.S. Johnston. The Fulani Empire of Sokoto (London, 1967) pp.17-19; Murray Last. The Sokoto Caliphate (London, 1967) pp.46-7.

٣١- قبائل الماندنجو أكبُر القبائل الأفريقية في غربيّ أفريقية في العصور الوسطى، ومِنْ أول مَنْ اعتنقَ الإسلام، وهم مؤسِّسُو مملكة (مالي) الإسلامية، أما الفلاني فقد سبقت الإشارة اليهم، وهم الذين أسسوا الخلافة الصكتية بقيادة المجاهد الأكبر عثمان بن فودي، ولهم دور كبير في نشر الإسلام، في بلاد السودان الأوسط والغربي منذ القرن الثامن الهجري (الرابعَ عَشَر الميلادي).

٣٢- للمزيد من التفصيلات، انظر، محمد زغروت، " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها..." ص ١١٨ ومابعدها.

E.W. Bovil. The Golden Trade, pp. 44ff; S.M. Imamuddin. " Commercial Relation of Spain with Ifriqiyah..", pp. 12ff.

٣٣- إبراهيم طرخان . " الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي..." ص ٣٦ . ولمزيد من التفصيلات ، انظر: دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى اللغة العربية: مادة " السودان " مج ١٢ ، ص ٣٢٨ ومابعدها . غيثان بن علي بن جريس . " العرب في مقديشو وأثرهم في الحياتين السياسية والثقافية في ظل الإسلام" ،مجلة المؤرخ العربي، العدد (١) . مج(١) (القاهرة، ١٩٩٣م) ،ص ١٣٣ ومابعدها .

٣٤- نجرتيا، تسمية أطلقها المؤرخ الروماني بليني (Plinns) نسبة إلى نهر النيجر . وبليني (مات حوالي ١١٥م) هو الذي أطلق على نهر النيجر اسمه الذي اشتهر به (Nigris) ، ومعناه نيل الأجناس السوداء . انظر، إبراهيم طرخان . " الإسلام واللغة العربية ..." ص ٨ ومابعدها .

٣٥- ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٩٨-١٠١، ١٠٤ ومابعدها .

٣٦- إبراهيم طرخان . دولة مالي الإسلامية (القاهرة : د.ن ، ١٩٧٣م) ص١٥٤-١٥٧، E.W. Bovil. The Golden Trade, pp. 42 ff, S.M. Imamuddin. "Commercial Relation of Spain" pp. 12 ff.

٣٧- ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار، جـ٢، ص ٧٨٦ ومابعدها، E.W. Bovil. The Golden Trade, pp.90-100

٣٨- ابن بطوطة، تحفة النظار، جـ٢، ص ٧٨٥ ومابعدها، إبراهيم طرخان . دولة مالي الإسلامية، ص ١٥١ ، محمد محمد زيتون، " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب... ص ٢١١ ومابعدها .

٣٩- الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق، جـ١، ص ٢٢ ومابعدها . ابن بطوطة ، تحفة النظار ، جـ٢، ص ٧٨٥، إبراهيم طرخان. دولة مالي الإسلامية، ص ١٥١-١٥٢ .

٤٠- إبراهيم طرخان، دولة مالي الإسلامية،ص ١٥٢ ، ومابعدها .

٤١- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، ص ١٤ ومابعدها . إبراهيم طرخان، دولة مالي الإسلامية، ص ١٥٥ ومابعدها . وأحمد بابا يلقب بالتنبكتي من (تنبكت أوتمبكتو) في (جمهورية مالي حالياً)، وهو من أشهر علماء غرب أفريقية في العصور الوسطى، وكذلك السعدي من علماء أفريقية المشاهير وله مصدر تاريخي جيد عن بلاد السودان تحت عنوان : (تاريخ السودان).

٤٢- ابن بطوطة ، تحفة النظار، جـ٢، ص ٧٨١

٤٣- توماس أرنولد. الدعوة إلى الإسلام. ترجمة: حسن إبراهيم حسن، وعبد المجيد عابدين (القاهرة : د.ن ، ١٩٥٧م) ص ٣٤٩ .

٤٤- ديشان (H. Deschan) . الديانات في أفريقية السوداء . ترجمة : أحمد صادق (القاهرة : د.ن ، ١٩٦٩م) ص ١٣٢-١٣٣٠

٤٥- القَلْقَشَنْدِيُّ ، صبح الأعشى، جـ٥، ٢٩٨ . ولمزيد من التفصيلات انظر: محمد زيتون. " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب..." ، ص ٢١٦ ، ومابعدها .

٤٦- إبراهيم طرخان: امبراطورية البرنو الإسلامية (القاهرة:د٠ن، ١٩٧٥م) ص ١١٢-١١٣، محمد زغروت٠ العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها٠٠٠" ص ١١٩ومابعدها، S.M. Imamuddin " Commercial Relation of Spain with Ifriqyah..." pp. 13-14.

٤٧- إبراهيم طرخان٠ إمبراطورية البرنو الإسلامية، ص ١١٣، ومابعدها٠

٤٨- محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي٠ إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص ١٠-١١

٤٩- أحمد بن فرطوا٠ تاريخ ابن إدريس وغزواته (كنو : د٠ن ، ١٩٣٢م) ص ١٣٦-١٣٧٠

٥٠- محمد زيتون: " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب ٠٠٠" ص ٢٢٢ ومابعدها، غيثان بن علي بن جريس: بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية، جـ١، ص ٢٣-٢٥، ٤٢-٥٠، ٢٥٩ ومابعدها، S.M.Imamuddin "Commercial Relation of Spain with Ifriqiyah and Egypt..." pp.12-14.

٥١- ابن خلدون، كتاب العبر، جـ٣، ص١٣٦-١٣٧ ٠ (ويذكر الناصري أيضاً في كتابه: الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، جـ٥،ص١٠٤ ومابعدها " أن رسول ملك برنو قَدِم إلى المنصور في سنة (٩٩٠هـ) ومعه هدية إليه من العبيد والإماء والكساء فقوبل بحفاوة عظيمة ٠ وكان ملك البرنو يطلب من أمير المؤمنين المنصور المدد من العساكر والبنادق ومدافع النار. فاشترط عليه أن يدخل في بَيْعته أولا فقبل الرسول ذلك، وكتب صورة البيعة التي أخذها الرسول إلى ملك برنو٠

٥٢- القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٨، ص ١١٦ ومابعدها ٠

٥٣- هاجرت قبيلة شوا إلى البرنو في أواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، ويقال إنهم كانوا من قبيلة بني هلال التي طُرِدَتْ من مصر في العهد الفاطمي، طردهم الخليفة الفاطمي المستنصر ٠ واشتهرت هذه القبيلة بالشجاعة والبطش؛ ولذلك استفاد منهم ملوك البرنو في الجيش ٠ انظر Akin mabogunje. The land and the peaple of West Africa (Ibadan,1972) pp.27-9.

٥٤- لمزيد من التفصيلات انظر، ابن خلدون: كتاب العبر، جـ٦، ٢٢، ٤١، ابن حوقل، صورة الأرض٠ ص ٦٠،البكري، كتاب المسالك والممالك، ١٥٨، ياقوت الحموي٠ معجم البلدان ،طبعة مصر(١٩٠٦م) جـ٤، ص ١٨٢، محمد زيتون:" العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب" ، ص ٢١٦ ،ومابعدها، محمد إبراهيم زغروت٠ " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها ٠٠٠" ص ١٢٣،ومابعدها، S.M. Imamuddin. “Commercial Relation of Spain with Ifriqiyah and Egypt...” pp. 9-14.

٥٥- البكري، كتاب المسالك والممالك ، ص ١٧٥-١٧٦ ٠

٥٦- صباح إبراهيم الشيخلي٠ " النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري" مجلة تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر ٠ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية (بغداد. ١٤٠٤هـ :١٩٨٤م) ص ٢٩-٤٤، محمد زغروت " العلاقات التجارية الدوية ودور المغرب الإسلامي فيها ٠٠٠" ص، ١١٦. ومابعده ٠

FACULTY OF ARTS BULLETIN

Volume : 45 **1996 - 1997**